البيت منثورًا: يريد: أن إساءته إليهم أوجع لهم من إساءة غيره؛ لأنهم تعودوا إحسانه، فإذا قطعه عنهم أوجع ذلك؛ فهو يقول موبخًا لبني كعب لما حرمت أنفسها من فضل سيف الدولة الذي كان عندهم عادة دائمة، ونعمة سابغة، وما يوجع الحرمان ممن لا يُرتقَبُ فضله، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمّل بذله، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده، وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه. يريد: أنهم كانوا أصدقاءه فحُرِمُوا فضله ورِفْدَه!

قافية الكاف

[١]

مَنْ يَعْرِفَ الشَّمْسَ لا يُنْكِرْ مَطَالِعَها أو يُبْصِر الخيل لا يَسْتَكْرِم الرِّمَكَا

المناسبة: هذا هو البيت الثاني من ثلاثة قالها وقد أجمل سيف الدولة ذكره.

اللغة: الرمك: جمع رمكة، وهي الفرس التى تُتَّخَذُ للنتاج دون الركوب. وقال الجوهري: هى الأنثى من البراذين، وجمعها: رماك، وأرماك، ورمكات مثل: ثمار وأثمار.

الفكرة التى يدور البيت فى إطارها: معرفة الفضل لأهل الفضل.

المثل منثورًا: من عرف الشمس لا ينكر مطالعها باختلافها، ومن عرف سيف الدولة لم يستعظم غيره، لاختلاف مقاصده، ومن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم هجان الخيل الرمك، لقد ضرب له مثلًا باختياره لقصده، ومعرفة سيف الدولة فضله.

قافية اللام

[١]

إذا قِيلَ، قَالَ: لِلْحِلْم مَوْضِعٌ وحِلْم الفَتَى فى غَيرِ مَوْضِعِه جَهْل

المناسبة: هذا البيت من قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى المنبجي. وهو البيت التاسع عشر.

اللغة: الحِلْم: يقال: حَلُم حِلْمًا: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة. الجهل: الجفاء والتسافه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: ليست الحرب موضعًا للحلم.

نثر البيت: إذا قيل له: استعمل الرفق كان جوابه: إن للحلم موضعًا ينبغي أن يوضع فيه. فإذا وضع فى غير محله كان جهلًا. يريد بذلك أن الحرب ليست موضعًا للحلم. وقد جاء ذلك فى قول الخُريمي:

أرى الحِلْمَ فى بعض المواطنِ ذلّةً وفى بعضها عِـزًّا يُسَوَّدُ صَاحبُه

[٢]

فى سَعَةِ الخافقين مُضْطَرَبٌ وفـى بـلادٍ مـن أُخْـتِـهـا بَـدَلُ

المناسبة: مما قاله فى مدح بدر بن عمار وقد فُصِدَ لعلة فغاص المبضع فوق حقه فأضر به ذلك، وهو البيت العاشر من القصيدة.

اللغة: الخافقين: المشرق والمغرب. مضطرب: مجال للحركة.

الفكرة التى يدور حولها البيت: بلاد الله واسعة.

المثل منثورا: الأرض واسعة، والبلاد كثيرة، فإذا لم يطب لى موضع فلي عنه بدل، وهذا معنى مطروق، قال القائل:

إذا تنكّر خِـلٌّ فـاتـخِـذْ بـدلًا فالأرضُ من تُرْبةٍ والناسُ من رَجُلِ

وقال البحتري:

فـإذا مـا تـنـكـرت لـي بـلادٌ أو صـديـقٌ فـإنـني بالخيار

وقال عبد الصمد بن المعذّل:

إذا وَطَـنٌ رابـنـي فـكُـلُّ بـلادٍ وطـن

[٣]

أَبْـلَـغُ ما يُطْلَبُ النجاحُ به الـ ـطبعُ وعِـنْـدَ التعَمُّقِ الـزَّلَـلُ

المناسبة: هذاالبيت هو الثاني والأربعون من القصيدة السابقة.

اللغة: التعمق: بلوغ عمق الشيء وهو أقصاه، يريد به المبالغة ومجاوزة الحد.

الفكرة التى ينادي بها: التكلف يخرج الإنسان عن طبعه، ويعرضه للزلل.

البيت منثورًا: إن النجاح فى الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه، ويعرضه للزلل.

[٤]

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

المناسبة: هذا البيت هو البيت الثلاثون من قصيدة طويلة يمدح بها بدر بن عمار.

اللغة: الزُّلال: العذب الصافي الذى يزل فى الحلق.

الفكرة التى ينادى بها: فساد الحاسة يوقع فى الخطأ.

نثر البيت: هذا مثل ضربه المتنبي يقول فيه: مثل المتشاعرين معي كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرًّا لمرارة فمه. كذلك هؤلاء إنما يذمونه ويحسدونه لنقصانهم وغبائهم، وعدم إدراكهم فضلي وشعري، فالنقص فيهم لا فّي، ولو صحت حواسّهم لعرفوا فضلى. قال حكيم: النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة.

[٥]

ما كُلُّ مَنْ طَلَبَ المعالي نَافِذًا فيها ولاَ كُلُّ الرِّجالِ فُحولا

المناسبة: هذا هو البيت الأخير من قصيدة قالها فى مدح بدر بن عمار يذكر فيهاالأسد وقد أعجله فضربه بسوطه.

اللغة: نافذًا: بالغًا إياها. وفحولًا: جمع فحل، وهو البطل القوي.

الفكرة التى ينادي بها: السيادة هبة من الله يختص بها من يشاء.

المثل منثورًا: ما كل من طلب المجد وصل إليه، وليس كل الرجال فحولًا وأبطالًا ميامين، فالسيادة هبة الله يعطيها من يشاء.

وهذا البيت حرى بأن يجري على كل لسان، إذ هو آية فى البيان.

[٦]

اِنْـعَـمْ ولَـذَّ فِـلْـلأُمـورِ أواخِـرٌ أَبَـدًا إذا كانت لَـهُـنّ أَوَائِـلُ

المناسبة: هذا البيت هو البيت الثاني عشر من قصيدة قالها يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ومطلعها:

لَكِ يا منازِلُ فى القلوب منازِلُ أَقْـفَـرْتِ وهُـنّ مِـنْـكِ أوائِـلُ

الفكرة التى ينادي بها: دعوة إلى التمتع بلذيذ العيش عندما تتاح الفرصة.

المثل منثورًا: يقول: تمتع بالنعمة واللذة ما بقي لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول. يعني أنه يفنى ولا يبقى.

[٧]

وإِذَا أَتَتْك مَذَمَّتِي من ناقِصٍ فَهِيَ الشهادةُ لي بأَنّي كامِلُ

المناسبة: هذا هو البيت التاسع والثلاثون من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: مذمة الناقص دليل الكمال.

البيت منثورًا: يقول: إذا ذمني ناقص كان ذمه دليل كمالي وفضلي، لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل لما بينهما من التفاضل. قال أبو تمام:

لقد آسفَ الأعداءَ فَضْلُ بنُ يوسُفٍ وذو النّقْصِ فى الدنيا بذي الفضلِ مُولَع

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حفصة:

ما ضَرّني حَسَدُ اللئام ولم يَزَلْ ذو الفضل يحسده ذَوُو التقصير

وأصل هذا المعنى مأخوذ من قول الطِّرِمّاح:

لقد زادنـي حُبًّا لنفسيَ أَنّني. بغيضٌ إلى كل امرئ غير طائِلِ

وأنّـى شَـقِـيٌّ باللِّئامِ ولا تَرى شَقِيًّا بهِمْ إلا كَرِيمَ الشمائِلِ

[٨]

ويُـظْـهِـرُ الْجَهلَ بي وأَعْـرِفُـه والـدُّرُّ دُرٌّ بِـرَغْـمِ مَـنْ جَهِلَه

المناسبة: هذا هو البيت العشرون من قصيدة قالها يمدح أبا العشائر ومطلعها:

لا تَحْسَبُوا رَبْعكُم ولا طَلَلَه أوَلَ حَـيٍّ فِـراقُـكُـمْ قَتلَة

الفكرة التى يدور حولها البيت: تجاهل العارف.

نثر البيت: إن تجاهل العارف وإظهار جهله بي لا يضرني فأنا كالدر لا ينقص من قيمته جهل بعضهم به.

وهذا البيت يلتقي مع قول جميل:

إذا مـا رأونـي طالعًا مـن ثنيةٍ يقولون: من هذا وقد عرفوني؟!

[٩]

ومَـن لمّ يعْشَقِ الدنيا قديمًا؟! ولكن لا سبيلَ إلـى الـوِصَـالِ

المناسبة: هذا هو البيت الثالث من قصيدة قالها يرثي والدة سيف الدولة، وقد توفيت بميافارقين، وجاءه الخبر بموتها إلى حلب، سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وأنشده إياها فى جمادى الآخرة من السنة.

اللغة: من: استفهام إنكاري. الوصال: المواصلة.

الفكرة التى يدور حولها البيت: لا دوام لشيء من أمور الدنيا.

نثر البيت: من الذى لمْ يعشق الدنيا من قديم الدهر؟! أي أن كل أحد يهواها، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها.

وقوله إلى الوصال: أي إلى دوام الوصال، فكثير من عشاقها واصلها، وواصلته، ولكن لا تدوم على الوصال.

[١٠]

نَصِيبُك فى حياتِك من حَبِيبٍ نَصِيبُ فـى منامك مـن خيال

المناسبة: هذا البيت تالٍ للبيت السابق.

الفكرة التى يدور البيت حولها: وصال المحبين كأنه أحلام.

البيت منثورا: يقول: إن حظ الإنسان من وصال حبيبه فى حياته كلحظة من وصالِ خياله من منامه، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت كما ينقطع

التمتع بخيال الحبيب بالانتباه. جعل العمر كالمنام، والموت كالانتباه من المنام كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السُّنُونَ وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامُ

وقال التهامي:

فالعيش نوم والمنيةُ يَقْظَةٌ والمرء بينهما خيالٌ ساري

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتمثل ببيت قريب من بيت المتنبي يقول:

نُسَرُّ بما يَفْنى، ونَفْرح بالمنى كَما سُرَّ باللّذّاتِ - فى النوم - حَالِمُ

[١١]

ولَوْ كَانَ النِّسَاءُ كما فَقَدْنَا لَفُضِّلت النِّسَاءُ على الرّجالِ

وما التأنيثُ لاسم الشمسِ عَيْبٌ ولا التَّذْكيرُ فَخْرٌ للهلالِ

المناسبة: هذان بيتان من قصيدة رثاء والْدة سيف الدولة السابقة وهما: الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون.

الفكرة التى يدور حولها البيتان: تفضيل النساء وعدم إزراء الأنوثة بهن.

نثر البيتين: يقول: لو كان نساء العالم كهذه المرثية فى الكمال لفضلن على الرجال، يعنى أن هذه المرثيّة كانت أفضل من الرجال، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها فى الفضل - أي فَضْلهنّ على الرجال.

ويقول: لم تزر بها (أي لم تعبها) الأنوثة كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها، والذكورة لا تعد فضيلة فى أحد كما لا يحصل للقمر فخر بتذكير اسمه.

والشّمْسُ ليس بضائرٍ تأنيثُها وتزيد بالنُّورِ المنيرِ على القمرْ

[١٢]

فإن تَفُقِ الأنام وأنت مِنْهُمْ فإن المِسْكَ بعضُ دَمِ الغزالِ

المناسبة: هذا هو البيت الأخير من قصيدة الرثاء السابقة.

اللغة: المسك: ضرب من الطِّيب يتخذ من ضرب من الغِزلان.

الفكرة التى يدور حولها البيت: قد يفضل بعض الشيء جملته.

نثر البيت: يقول: إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب، فقد يفضل بعض الشيء على جملته كالمسك، وهو بعض دم الغزال، وقد فضله فضلًا كثيرًا.

قال الواحدي: قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي: كان سيف الدولة يُسَرّ بمن يحفظ شعر المتنبي فأنشدته يومًا البيت الذى قبل هذا البيت وهو:

رأيتُك فى الذين أرى ملوكًا كأنك مستقيم فى مُحَالِ

(المحال: العوج) وكان أبو الطيب حاضرًا فقلت: هذا البيت والذى يتلوه لم يسبق إليه.

فقال سيف الدولة: كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت؛ فأعجب المتنبي واهتز، فأردت أن أحركه فقلت: قولك: «مستقيم فى مُحال» والمحال: ليس ضد الاستقامة، وإنما ضدها الاعوجاج، فقال الأمير: هب القصيدة جيمية، فكيف تعمل فى تغيير قافية البيت الثانى؟!

فقلت عَجِلًا كردّ الطرف:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البيض بعض دم الدجاج

فضحك وضرب بيده الأرض وقال:

حسن مع هذه السرعة إلا أنه يصلح أن يباع فى سوق الطير، لأنه يُصبْح محالًا أن يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن!

[١٣]

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ ولا رَأْيَ فى الحُبِّ لِلْعَاقِلِ؟!

المناسبة: هذا البيت مطلع قصيدة قالها يمدح سيف الدولة، ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

اللغة: إلام: إلى متى. الطماعية: مصدر بمعنى الطمع كالكراهية، والعلانية. والعاذل: اللائم.

الفكرة التى يدور حولها المثل: لا جدوى من محاولات العاذل!

نثر المثل: يقول: إلى متى يطمع العاذل فى أن أستمع كلامه والحُبّ يقع اضطرارًا لا اختيارًا، والعاقل لا يقع فى شَرَك الحب برأيه واختياره، فلا معنى للوم فيه، لأن المحب مغلوب على أمره.

[١٤]

يُـرَادُ مـن الـقَـلْـبِ نِسْيانُكُمْ وتـأبـى الـطِّـبـاعُ على الـنّـاقِـلِ

المناسبة: هذا هو البيت الثاني التالي للبيت السابق من قصيدة المدح.

اللغة: الناقل: من يريد نقل الطبع من حال إلى حال.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الطبع لا يقبل التحول والانتقال.

نثر البيت: يريد العاذل من قلبى أن ينساكم ويَسْلُوَ عنكم، وأنا مطبوع على حبكم، فكيف أنتقل عن شيء طُبِعْتُ عليه، والطبع لا يقبل النقل، وهذا كقول العباس بن الأحنف.

لا تَحْسَبَنِّي عنكمُ مُقصِرًا إنـى عـلـى حـبـكـمُ مَـطْـبُـوعُ

ويروى بيت المتنبي: «ويأبى الطباع» على أن الطباع مفرد بمعنى الطبع لا جمع طبع.

[١٥]

خُـذُوا ما أتـاكُـمْ به واعـذِرُوا فـإن الغنيمة فـى الـعـاجِـلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الحادي والثلاثون من القصيدة السابقة.

اللغة: أتاكم به: جاءكم به.

الفكرة التى يدور حولها البيت: الغنيمة فى العاجل.

نثر المثل: يستهزئ بهم فيقول: اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبي وائل، وخذوه فإن الغُنْم فيما عُجّل لكم، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم، والذي أتاهم به هو الوقيعة بهم!

[١٦]

أَعْلَى الممَالِكِ ما يُبْنَى على الأَسَلِ والطعنُ عند مُحِبِّيهِنّ كالقُبَلِ

المناسبة: هذا البيت مطلع قصيدة قالها أبو الطيب عندما سار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة لما قصده معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

اللغة: الأسل: الرماح. الممالك: جمع مملكة وهى سلطان الملك فى رعيته.

الفكرة التى يدور المثل حولها: أعلى الممالك وأسماها.

نثر المثل: أعلى الممالك رتبة ما أخذ اقتسارًا وغِلابًا لا ما جاء عفوًا، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبل. أى يستلذ الطعن استلذاذ القبل، ورحم الله الطائي حين قال:

يَسْتعذبون مَنَاياهمْ كأنّهُمُ لا ييأسونَ من الدنيا إذا قُتِلُوا

[١٧]

ولا يُجيرُ عليه الـدّهُـر بُغْيَتَه ولا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهجةَ البَطَلِ

المناسبة: هذا هو البيت السابع عشر من القصيدة السابقةالتى مطلعها «أعلى الممالك... إلخ».

اللغة: أجار عليه: منعه مما يطلبه. قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، أى لا يُمنع مما يريده. البغية: المطلوب. المهجة: الروح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: النصر حليف البطل

نثر البيت: يقول: إذا رام شيئًا لا يجيره عليه الدهر، ولا يحميه منه، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراد كان ما كان من البطولة.

[١٨]

بِذِي الغَبَاوَةِ مِنْ إنشادِهَا ضَرَرٌ كما تُضِرّ رياحُ الوَرْد بالجُعَلِ

المناسبة: وهذا هو البيت التاسع عشر من القصيدة السابقة.

اللغة: ذو الغباوة: الغبي الجاهل. الجُعَل: ضرب من الخنافس «الجعران» يكثر فى المواضع الندية.

الفكرة التى يدور حولها المثل: أثر مدائح المتنبي فى الأغبياء!

نثر المثل: يقول: إذا أُنْشِدَ الجاهلُ شعري تضرر به؛ لأنه لا يعرفه، ويغيظه ذلك، فيظهر عليه من أثر الجهل والغيظ ما يظهر على الجُعل إذا أصابه ريح الورد؛ فإنه ينال منه كل النيل.

[١٩]

إذَا مَا تَأَمّلْتَ الزّمانَ وصَرْفَهُ تيَقّنْتَ أَنّ الموْتَ ضَرْبٌ من القَتْلِ

المناسبة: هذا هو البيت الثامن والعشرون من قصيدة قالها يرثي أبا الهيجاء عبدالله بن سيف الدولة بحلب، وقد توفى بميافارقين فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

اللغة: صرف الزمان: نوائبه وحِدثانه والجمع صروف.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الموت ضرب من القتل.

نثر المثل: يقول: إذا تأملت تصاريف الزمان علمت أن الموت نوع من القتل، وذلك أن من لم يقتل بالسيف ومات بتقلب الزمان عليه كان كمن قتل، إذ المؤدي واحد، وهو فوات الروح، كما قال الآخر:

إذا بَـلّ مِـنْ داءٍ بـه خَـالَ أنه نَجَا وبِـه الـداءُ الـذى هو قاتِلُه

يعنى: الموت؛ لأنه محتوم على كل أحد، فجعل الموت قاتلًا، وقد قال البحتري:

رأى بعضُهم بعضًا على الحُبِّ أُسْوَةً فماتوا ومَوْتُ الحُبِّ ضربٌ من القتل

يعني: أن قتل الحب إياهم كقتل السيف.

[٢٠]

وما الدّهْرُ أهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِندَه حَيَاةٌ وأن يُشْتَاقَ فيه إلى النّسْلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الثاني والثلاثون من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور حولها النص: الدهر خوّان!

نثر المثل: يقول: إن الدهر خوّانٌ ليس أهلًا أن ترجى عنده الحياة، لأنه لا يحقق الرجاء فى الحياة، ولا يفي بالأمل، وليس أهلًا لأن يُشتاق فيه إلى الولد، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينغص عيشه ويسأم معه الحياة، ولأنه لا يبقي على الولد بل يفجع به الوالد.

[٢١]

إنّ الـرِّيـاحَ إذا عَـمَـدْنَ لِنَاظِرٍ أغْـنَـاهُ مُقْبِلُها عن اسْتِعْجَالِه

المناسبة: هذا هو البيت الثاني والعشرون من قصيدة قالها فى مدح سيف الدولة.

اللغة: مُقْبِلها (بكسر الباء): أوّلها، وهو ما يُستَقْبَل منها. وقال الواحدي: والرواية الصحيحة مقبلها (بفتح الباء) أى: إقبالُها.

الفكرة التى يدور حولها المثل: هكذا يكون الكريم!

نثر المثل: يقول: إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل.

[٢٢]

دُونَ الحَلَاوَةِ فى الزّمَانِ مَـرَارَةٌ لا تُخْتَطَى إلا على أهْـوَالِـه

المناسبة: هذا هو البيت الأربعون من القصيدة السابقة.

اللغة: لا تُخْتَطَى: لا تُتَجاوَز.

الفكرة التى يدور حولها المثل: لا وصول إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته.

نثر المثل: من يريد الوصول إلى الآمال الحلوة فعليه أن يتخطى الصعاب والمشقات ويذوق المر؛ ويركب الأهوال كما قال:

* ولابُدّ دون الشهد من إبر النحل *

[٢٣]

وما صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ من اللِّقاءِ كَمُشْتَاقٍ بلا أَمَلِ

المناسبة: هذا هو البيت الرابع من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويعتذر إليه، وذلك فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: الصبابة: رقة الشوق. وقوله: كمشتاق: أراد كصبابة مشتاق فحذف المضاف.

الفكرة التى يدور المثل حولها: أمل اللقاء يخفف لواعج الأشواق.

المثل منثورًا: إن المشتاق الذى لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالًا ممن يأمل، لأنه إذا كان على أمل خفف التأميل برح اشتياقه.

[٢٤]

والهَجْرُ أَقْتَلُ لي مما أراقبه أَنَا الغريقُ فما خَوْفي من البَلَلِ

المناسبة: وهذا هو البيت السادس من القصيدة السابقة.

اللغة: مما أراقبه: ما أتوقعه من بأس قومها.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الهجر أفعل من السلاح.

نثر المثل: يقول: إن هجره أقتل له من سلاحهم، فإذا كان مقتولًا بالهجر، لم يبالِ بعده بالسلاح، لأن من غرق فى الماء لم يخشَ البلل.

وهذا من قول بشار:

كَمُزِيلٍ رِجْلَيْه عن بَلَلِ القطـ ـرِ وما حوله من الأرْضِ بَحْرُ

[٢٥]

خُذْ ما تَرَاهُ وَدَعْ شيئًا سَمِعْتَ به في طَلْعَةِ الشّمْسِ ما يغنيك عن زُحَلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الرابع والعشرون من القصيدة السابقة.

اللغة: زُحل: أبعد الكواكب السيارة فى النظام الشمسي.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الأخذ بما نراه.

نثر المثل: يقول أبو الطيب لنفسه: امدحه بما تشاهد منه، واترك ما سمعت به، فما راءٍ كمن سمعا، وإن الشمس تغنيك عن زحل. جعله كالشمس، وآباءه كزُحل- وهو كوكب بعيد خفي- يعني فيما قرب منك عوض عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد.

[٢٦]

إنْ كُنْتَ تَرْضَى بأن يُعطُوا الجِزَى بَذَلُوا منها رِضَاك ومَنْ لِلْعُورِ بالحَوَلِ؟!

المناسبة: وهذا هو البيت الرابع والثلاثون من القصيدة السابقة.

اللغة: الجِزَى: جمع جزية، وهو ما يعطيه المعاهَد ليدفع عن رقبته، ويحفظ دمه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: قبول أخف الضررين.

نثر المثل: يقول مخاطبًا سيف الدولة: إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية، وتعفو عن رقابهم قبلوها وأرضوك، وذلك غاية أمنيتهم كالأعور يتمنى الحول، والحول خير من العور. يعنى أن الجزية خير لهم من القتل.

[٢٧]

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُهُ فرُبّما صَحَّتِ الأجسامُ بالْعِلَلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الحادي والأربعون من القصيدة السابقة.

اللغة: العَتب: يقال عَتَبَ عليه عَتْبًا وعتَابًا وتَعْتابًا، وتَعتَبَةً: لامه وخاطبه مخاطبة الإدلال طالبًا حسن مراجعته، ومذكرًا إياه بما كرهه منه.

الفكرة التى يدور حولها البيت: رُبّ ضارّةٍ نافعة.

نثر البيت: يقول: لعَلّي أحمَدُ عاقبةَ عَتْبك، وذلك أن أرتدع بعد عفوك، فلا أعود إلى شيء أستوجبُ به العتب، كمن يعتل، فربما تكون علته أمانًا له من أدواء أخرى، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها، وفى هذا نظر إلى قول الآخر:

لَعَلّ سَبًّا يفيد حبًّا ... فالشَّرُّ للخير قد يَجُرّ

وقول ابن الرومي:

احمدِ اللهَ إذْ رُزِقْتَ هِجَاءً ... هُوَ بَعْدَ الخمولِ نَوَّهَ باسمك

قد تذكرتُ مُوبقاتِ ذُنُوبي ... فرجوتُ الخلاصَ منها بشتمك

وكان الواشون قد وشوا به مما جعل سيف الدولة يعتب عليه، وقد وجد فى هذا حصانة لم مما قد يحدث مستقبلًا، ودرسًا مفيدًا، فرب علة كانت سببا لصحة الأجسام. وهذا البيت من بيوت الحكمة الخالدة على الدهر، الزاهية فى كل عصر.

[٢٨]

لِأَنّ حِلْمَك حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ ... ليس التَّكَحُّلُ فى العَيْنَيْنِ كالْكَحَلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الثالث والأربعون من نفس القصيدة السابقة.

اللغة: تَكَلّفُهُ: بحذف إحدى التاءين أى تتكلفُه. والكحل: سواد الجفون خلقة. والتكحل: هو وضع الكحل، والاكتحال.

الفكرة التى يدور حولها البيت: فرق كبير بين المصنوع والمطبوع.

البيت منثورًا: يقول: إنما ذلك لأن لك حلمًا طبعت عليه لا يعوزك أن تتكلفه، ومن ثمّ لا يستخفه الغضب، ولا يؤثر فيه كلام الواشين، ثم ضرب التكحُّل والكَحَل مثلًا للمتكلف والمطبوع.

[٢٩]

وليس يَصِحُّ فى الأذهانِ شيءٌ ... إذَا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

المناسبة: أنكر على أبي الطيب بعضُ الحاضرين مجلس سيف الدولة قوله:

* «شديد» البُعد من شُرْبِ الشَّمُولِ *

(الشمول: من أسماء الخمر) فرد عليه بأربعة أبيات هذا البيت رابعها.

الفكرة التى يدور المثل حولها: قلة إدراك من يطلب دليلًا على ما كان واضحًا.

نثر البيت: يقول: إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يدل عليه لم يصح فى فهمه شيء لأنه لا فهم له. كذلك كلامي كان واضحًا فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهارًا إلا بدليل.

[٣٠]

وما ثَنَاكَ كلامُ الناسِ عن كَرَمٍ ومَنْ يَسُدّ طَريقَ العَارِضِ الهَطِلِ؟!

المناسبة: هذا البيت يعقب المثل رقم ٢٨ فى قصيدته.

اللغة: ما ثناك: ما صرفك. العارض: السحاب. الهطل: الكثير المطر.

الفكرة التى يدور حولها المثل: من الصعب صرف الكريم عن كرمه!

نثر المثل: يقول: ما صرفك عن مقتضيات الكرم كلامُ الناس ومحاولتهم إفساد ما بيننا، لم يصرفك كل ذلك عن استعمال ما يوجبه الكرم معى. ثم قال: ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل؟ أي: كما أنه لا يستطاع هذا لا يستطاع صرفك عن مقتضيات الكرم.

[٣١]

لَيَالِيّ بَعْدَ الظَّاعِنينَ شُكُولُ طِـوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ

المناسبة: هذا مطلع قصيدة قالها يمدح سيف الدولة وأنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: الظاعنين: جمع ظاعن وهو المرتحل. وشكول: جمع شكل أى شبيه.

الفكرة التى يدور المثل حولها: تقادم العهد لا يؤدى إلى السُّلُوّ!

نثر المثل: يقول: إن ليالي الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول. أما لياليه فهى متشابهة فى الطول لبعد الحبيب وامتناع النوم، ولك أن تقول: إن مشاكلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحًا ولا نومًا. يقول: لا يتغير حالي فى لياليّ بعد الأحبة، ولا ينقضي غرامي ووجدي بهم، أي: أنه لا يسلو برغم تقادم العهد. على الضد من قول القائل:

إذا ما شئت أن تسلو خليلا فأكثر دونه عددَ الليالي

ثم أخبر عن طول لياليه فقال: هى طِوال، وكذلك ليالي العشاق.

[٣٢]

فإن تَكُنِ الأيامُ أبْصَرْنَ صَوْلةً فقَدْ عَلّمَ الأيام كيفَ تصول؟!

المناسبة: وهذا هو البيت الثاني والخمسون من القصيدة التى مطلعها البيت السابق رقم ٣١.

اللغة: صال عليه: وثب واستطال.

الفكرة التى يدور حولها المثل: تعلم الأيام من سيف الدولة البأس.

نثر المثل: يقول: إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك مالم تعلمه، ونهج لها سبيل الصّوْل والغَلَبة. يعني أن الأيام تتعلم منه البأس.

[٣٣]

وأَتْعَبُ من نَـادَاك مَن لا تُجيبُه وأَغْيَظُ من عاداك من لا تُشَاكِلُ

المناسبة: هذا هو البيت السابع والعشرون من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة عند دخول رسول الروم فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: معاملة الحاسدين وكيف تكون؟!

نثر المثل: إذا كان أعدائى يغيظونني بالمعاداة وهم غير أشكال لي، فلأنني لا أُجيبهم لأتعبهم بترك الجواب. وإنهم لفي أشد الغيظ لعدم مشاكلتهم لي!

[٣٤]

لَـكَ إِلْـفٌ يَـجُـرُّهُ وإِذَامَـا كَـرُمَ الأَصْـلُ كانَ لِلإِلْفِ أصلًا

المناسبة: هذا هو البيت السابع من قصيدة قالها يعزي سيف الدولة بأخته الصغرى، ويسليه بالكبرى، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: الإلف: السكون إلى الشيء والأُنس به. يجره: يجلبه. وروَاها ابن جنى تجرّه: (بالتاء) أى تصحبه وتحمل ثقله.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الكريم ألوف.

نثر المثل: يقول: لك إلْف يجر هذا الحزن ويجلبه عليك. ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل، وأن الكريم ألوف، وإذا كان ألوفًا حزن على فراق من ألفه.

[٣٥]

إِنّ خيرَ الـدُّمُـوعِ عَـوْنَـا لَدَمْعٌ بَـعـثَـتْـهُ رِعَـايَـةٌ فـاسْـتَـهَـلاّ

المناسبة: وهذا هو البيت التاسع من القصيدة السابقة.

اللغة: الرعاية: حسن المحافظة. والاستهلال: الانسكاب.

الفكرة التى يدور حولها المثل: دموع الوفاء.

نثر المثل: يقول: إن الدمع الذى سببه رعاية العهد هو خير الدموع عونًا على الحزن والرزية؛ وذلك أن الدمع يخفف الوجد كما قال ذو الرمة:

لعلّ انحدارَ الدّمْعِ يُعْقِبُ راحةً من الوَجْد أو يَشْفى نَجِيَّ البَلاَبِل

وقوله: «عَوْنًا» يروى: «عندي» وروى ابن جني «عينا» قال: وهو منصوب على التمييز. والمعنى: إن عينه خير الأعين لأن موجب دمعه - حتى استهل وفاض - هو الرعاية والحِفاظ.

[٣٦]

وإذا لَـمْ تَجِدْ من الناسِ كُفْوًا ذَاتُ خِـدْرٍ أرادَتِ الموتَ بَعْلَا

المناسبة: وهذا هو البيت الخامس والعشرون من قصيدة العزاء السابقة.

اللغة: الكُفْوُ والكُفْء: المِثْل. وبعلا: أى زوجًا (حال).

الفكرة التى يدور حولها المثل: إيثار الموت عند فقد الكفء!

نثر المثل: يقولُ: إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوًا لها من الناس تتزوج منه، اختارتِ الموت بعلًا لها.

قال الواحدي: لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها، فاختارتِ الموت على الحياة. والأوجه أن يقال: لأنها تأبى أن تُمَسَّ كرامتُها وصيانتها إذا هي تزوجت من غير أكفائها، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكفل صيانتها ويوفيها حقها.

[٣٧]

ولذيذُ الحَيَاةِ أَنْفَسُ فى النفـ ـسِ وأَشْهى مِنْ أَنْ يُمَلّ وأَحْلَى

المناسبة: وهذا هو البيت التالي للسابق.

اللغة: اللذيذ: الذى نَلَذُّه ونستحبه. النفيس: الغالي المطلوب.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الحياة أنفسُ من أن تُمَلّ.

نثر المثل: يقول: إن الحياة - لِلَذاذَاتِها - أنفسُ فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تملّ وتستكره، لعله يريد أن يقول: إن ذات الخدر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفء فتُمتَهن لا بغضا فى الحياة.

[٣٨]

وإذا الشيخُ قال: أُفّ فما مَلَّ حياةً وإنّما الضعفَ مَلاَّ

المناسبة: وهذا المثل متصل بما سبقه على الترتيب، وهو تأكيد لما قبله.

اللغة: أُفّ: كلمة يقولها المتضجر الكاره للشيء وهى بتثليث الفاء وبالتنوين وتركه.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبيبة والكبر.

نثر المثل: يقول: إذا ضجر الشيخ فقال: أُفّ فإن ذلك الضجر والملال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة؛ لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبيبة والكبر.

[٣٩]

آلــةُ الــعَــيْــشِ صِــحــةٌ وشَــبــابٌ فــإذا وَلَّــيَــا عــن الــمَــرْءِ وَلَّــى

المناسبة: هذا المثل تالٍ لما سبقه من قصيدة العزاء لسيف الدولة فى أخته الصغرى.

اللغة: آلة: عُدّة. ولّيا: ذهبا.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الصحة والشباب بهما يحلو العيش.

نثر المثل: يقول: إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنغص وذهب.

[٤٠]

أَبَــدًا تَــسْــتَــرِدُّ ما تَــهَــبُ الدُّنْيَا فَــيَــالَــيْــتَ جُــودَهَــا كَــانَ بُخْلَا

المناسبة: وهذا البيت تالٍ لما قبلهُ من قصيدة التعزية لسيف الدولة فى أخته الصغرى.

الفكرة التى يدور حولها المثل: تقلبات الدنيا.

نثر المثل: يقول: إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه، فياليتها بخلت وما جادت! كما قيل: *والمنعُ خيرٌ مِنْ عَطاءٍ مُكَدِّرِ*

وقال الأول:

الدَّهْر آخِـذٌ ما أعْطَى مُكَدِّرُ ما أَصْفَى ومُفْسِدُ ما أَهْدَى يدًا بيَدِ

فلا يَـغُـرَّنْـكَ من دَهْـرٍ عَطِيَّتُه فَلَيْسَ يَتْرُكُ ما أَعْطَى عَلَى أَحَدِ

وقال حكيم: الدنيا تطعم أولادَها، وتأكلُ أولادها!

[٤١]

رُبّ أَمْـرٍ أتاك لا تَحْمَدُ الفُعّالَ فـيـه وتَـنْـحَـمِـدُ الأفـعـالَا

المناسبة: هذا البيت من قصيدة طويلة قالها يمدح سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدَث لما بلغه أن الروم أحاطت به فى جُمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: الفُعّال هنا: هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب. أما فعلهم فهو حملهم آلات الحرب والقتال إلى القلعة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: إتيان النفع من قبل العدو!

نثر المثل: إن الروم غير محمودين لأنهم أعداء الإسلام والمسلمين، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة، لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عونًا لهم عليهم. وقريب منه القول المأثور: «رب ضارة نافعة».

[٤٢]

والعِيانُ الجَلِيُّ يُحْدِث لِلظَّـ ـــنِّ زوالًا وللمراد انتقالا

المناسبة: وهذا البيت وما بعده من القصيدة السابقة.

اللغة: الجَلِيّ: الواضح المكشوف.

الفكرة التى يدور حولها المثل: أثر العِيان فى الإنسان.

نثر المثل: يقول: كان أعداء سيف الدولة من الروم يظنون أنهم يقدرون على قتاله، فلما قصدوا محاربته انهزموا وعاينوا قصورهم عنه، فأزال العِيان ما كان الظن يُحدث لهم، وانتقل ذلك المراد الذى كانوا يريدونه من محاربتك.

[٤٣]

وإذا ما خلا الجَبَانُ بأرضٍ طَلَبَ الطّعْنَ وحدَهُ والنِّزَالَا

المناسبة: هذا البيت متصل بما قبله.

اللغة: الجبان: ضد الشجاع. النّزال: المنازلة والمقاتلة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: عندما يكون الجبان وحده!

نثر المثل: هذا المثل كما تقول العرب فى أمثالها: «كُلُّ مُجْرٍ فى الخَلاءِ يُسَرُّ». أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سُرّ بجريه، فإذا قاربه مثله ذهب سروره. ويقول المتنبي: إن الجبان - وهو ضد الشجاع - إذا كان وحده منفردًا

يحس من نفسه شجاعة، ويظن عنده غَنَاءً، ويطلب الطِّعان والمنازلة. يريد أن الروم شجعان ما لم يروا سيف الدولة.

[٤٤]

أَقْسَمُوا لاَرَأَوْكَ إلا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ العُيونُ الرِّجَالَا

المناسبة: هذا البيت متصل بما قبله.

اللغة: إلا بقلب: أى إلا والقلب معهم.

الفكرة التى يدور حولها المثل: خداع العين.

نثر المثل: يقول: حلفوا على أن يُحضروا عقولهم ويُعمِلوا أفكارهم فى قتالك. ثم قال: *طالما غرت العيون الرجال* أى كذبهم عنك ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن فى مكنتهم محاربتك.

قال الواحدى: ولا تناقض بين قوله : «غرت العيون الرجال» وبين قوله: «والعِيان الجلى» لأن قوله: «غرت العيون» أى: قبل التجربة. وأما ذاك فإنما يعني بعد التجربة.

[٤٥]

إنما أَنْفُسُ الأنيسِ سِبَاعُ يتفارسْنَ جَهْرَةً واغتيالا

المناسبة: هذا هو البيت الثالث والأربعون من القصيدة السابقة.

اللغة: الأنيس: المؤانس والمراد به الناس. يتفارسْنَ: يتقاتلن. اغتيالا: قتلًا بالخديعة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الناس سباع.

نثر المثل: ما أشبه الناس بالسباع، لا يكفون عن قتل بعضهم بعضًا جهارًا أو خداعًا. والبيتان التاليان تأكيد لهذا.

[٤٦]

من أَطَاقَ التماسَ شيءٍ غِلابًا واغْتِصَابًا لم يَلْتمِسَه سُؤالَا

المناسبة: توكيد لما قبله، ومناسبتهما واحدة.

اللغة: غِلابًا: مغالبةً. والاغتصاب: الأخذ بالقهر.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الغلبةُ طبع الحياة.

نثر المثل: يقول: من أمكنه أن ينال من الناس شيئًا بالغلبة والقهر لم يتكلف أن يناله بذل السؤال والخداع.

قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم: الغلبة طبع الحياة، والمسألة طبع الموت، والنفس لا تحب الموت؛ فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة.

[٤٧]

كُـلُّ غَـادٍ لـحـاجـةٍ يتَمَنَّى أن يكون الغضَنْفَرَ الرِّئبالَا

المناسبة: هذا البيت هو البيت الأخير من القصيدة السابقة، وهو وما قبله تأكيد لما سبقهما.

اللغة: غادٍ: فى الأصل ذاهب غدوة. والمراد هنا مطلق الذهاب أى وقت كان. الرئبال والغضنفر: من أسماء الأسد. وجعل الرئبال وصفًا للغضنفر مبالغة كأنه قال الأسد الشديد.

الفكرة التى يدور حولها المثل: القوة أمل الجميع!

نثر المثل: يقول: كل غادٍ منهم لحاجته يَوَدُّ لو أنه أشد بأسًا وقوةً ليتناول ما يريده ببأسه وقوته.

[٤٨]

وإذا خَامَر الهوى قَلْبَ صَبٍّ فعليه لـكـلِّ عَـيْـنٍ دَلِـيـلُ

المناسبة: هذا هو البيت الخامس من قصيدة قالها حين أنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته كافورًا، فقال يمدحه، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وهذا هو البيت الخامس منها.

اللغة: خامر: خالط ولابس. الصب: العاشق.

الفكرة التى يدور البيت حولها: دلائل الحُبّ!

نثر البيت: هذا البيت تاكيد لبيت سبقه يقول فيه:

تَشْتَكى ما اشتكيتُ من أَلَمِ الشَّوْ قِ إليها والشَّوْقُ حيثُ النحولُ

وهنا يقول: إن كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق.

[٤٩]

قال الزّمَانُ له قَوْلًا فأفْهَمَهُ إنّ الزمَانَ على الإمساكِ عَذَّالُ

المناسبة: هذا هو البيت الحادى عشر من قصيدة قالها يمدح أبا شجاع فاتكا، وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر، فوصل أبا الطيب وحمل إليه هديةً قيمتها ألف دينار، ومطلع هذه القصيدة يقول مخاطبًا نفسه:

لا خيلَ عندك تُهْدِيها ولا مالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم يُسْعِدِ الحالُ

اللغة: عَذّالٌ: لوّام. والضمير فى «له» للممدوح.

الفكرة التى يدور حولها البيت: الزّمانُ لوّام للبخلاء.

نثر البيت: لقد عَرّفه الزمان أن المال لا يبقى، فلما فهم ذلك عن الزمان فرق ماله فيما يورث المجد، وليس ثمة قول، ولكنه اتعظ بتصاريف الزمان. وقوله: إن الزمان إلخ كلام مستأنف. يقول: إن الزمان يلوم على البخل، لأن البخيل يفوت على نفسه كسب المحمدة والذكر باستبقاء ماليس بباق.

[٥٠]

القاتِلِ السيفَ فى جِسْمِ القتيلِ به وللسُّيوف كما للناسِ آجالُ

المناسبة: وهذا هو البيت الخامس عشر من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور البيت حولها: هكذا يكون الشجعان وللسيوف آجال.

نثر المثل: يقول: لجودة ضربه يقتل المقتول، ويقتل ما يقتله به وهو السيف. يريد: أنه يكسره فى حسمه، فجعل ذلك قتلًا للسيف. ثم قال: وإن للسيوف آجالًا كما أن للناس آجالًا.

[٥١]

يَرُوعُهم منه دَهْـرٌ صَـرْفُـهُ أبدًا مُجَاهِرٌ وصُـروف الدّهْرِ تغتالُ

المناسبة: وهذا هو البيت الثلاثون من القصيدة السابقة.

اللغة: يروعهم: يفزعهم. المجاهرة: الإعلان. صرف الدهر: حِدْثانه. والاغتيال: الإهلاك على غفلة.

الفكرة التى يدور البيت حولها: المجاهرة بالعدوان.

نثر المثل: يقول: هذا الممدوح دهر آخر يغول الأعداء جهارًا، أما الدهر فإنه يغتال بصروفه، ولا يُؤْذن بخطوبه، وجعله كالدهر تعظيمًا لشأنه، ثم بالغ وفضله على الدهر، وجعل له مزية عليه.

[٥٢]

لَطَّفتَ رأيَك فى بِرِّي وتَكْرِمَتي إن الكريمَ على العَلْياءِ يَحْتالُ

المناسبة: وهذا هو البيت السابع والثلاثون من القصيدة السابقة.

اللغة: لطّفت: بلغت الغاية من اللطف. يري: الإحسان إليَّ. تكرمتي: إكرامي.

الفكرة التى يدور حولها البيت: احتيال الكريم على العلياء.

نثر البيت: يقول: توصلتَ إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف، وتدبير ورأى، وكذلك الكريم يحتال ليحصل لنفسه العلو. وذلك أن فاتكًا أبا شجاع كان يراسل أبا الطيب، ولا يجاهر ببره وإكرامه خوفًا من كافور، فاتفق التقاؤهما فى سفر فأحسن إليه وأكرمه.

[٥٣]

لَـوْلاَ المشَقَّةُ سَادَ الناسُ كُلُّهُمُ الـجُـودُ يُفْقِرُ والإقْـدامُ قَتّالُ

المناسبة: وهذا هو البيت الثالث والأربعون من القصيدة السابقة التى بلغت أبياتها ستة وأربيعن بيتًا فى مدح أبي شجاع.

الفكرة التى يدور حولها البيت: تكاليف السيادة وأعباؤها.

نثر البيت: يقول: لولاأن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة، ثم يبين المشقة التي فى السيادة فقال:

من جاد افتقر، ومن أقدم على الحرب قتل، ولا سيادة دون الجود والشجاعة، وهذا من قول منصور النميري:

الجودُ أخْشَنُ مسًّا يَابَنِي مَطَر مِـنْ أن تَبزَّكمُوهُ كَـفُّ مُسْتَلِبِ

ما أعلمَ الناسَ أن الجُودَ مَكْسَبَةٌ لِلْمجدِ لكنه يأتي على النَّشَبِ

[٥٤]

وإنّـمـا يَـبْـلُـغُ الإنـسـانُ طَاقَتَه ما كُـلُّ ماشيةٍ بالرَّحْلِ شِمْلَالُ

المناسبة: هذا البيت والبيتان بعده تمام القصيدة السابقة فى مدح أبي شجاع.

اللغة: الشِّمْلالُ: الناقة القوية الخفيفة المشي السريعة. والطاقة: القدرة: وما يستطيع الإنسان أن يفعله بمشقة.

الفكرة التى يدور حولها البيت: ليس كل واحد أهلًا للاضطلاع بأعباء السيادة.

نثر البيت: يقول: كل إنسان يجرى فى السيادة على قدر طاقته، فليس كل أحد أهلًا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود، ويبلغ مبلغ الممدوح، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالًا.

[٥٥]

إنّـأ لَفِى زَمَـنٍ تَـرْكُ القبيح به من أكثرِ الناسِ إِحْسَانٌ وإجمالُ

المناسبة: هذا هو البيت قبل الأخير من القصيدة السابقة.

اللغة: إجمال: يقال: أجمل الصنيعة إجمالًا، وفيها: حَسّنَها وكثَّرَها.

الفكرة التى يدور حولها البيت: ترك القبيح هو الإحسان فى زماننا.

نثر البيت: يقول: من يتجنب معك القبح ولا يعاملك به فى هذا الزمان فقد أحسن إليك، وفعل جميلًا لكثرة من يعاملك بالقبح، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال:

وصِرْنا نَرَى أن المتَارِكَ مُحْسِنٌ وأن خليلًا لا يُضرّ وَصُولُ

قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل.

[٥٦]

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُه الثاني وحاجَتُه ما فاته وفُضُولُ العَيْشِ أَثْقَالُ

المناسبة: هذا هو البيت الأخير من القصيدة السابقة.

اللغة: فضول العيش: ما فضل عن القوت وزاد مما لا يحتاج إليه.

الفكرة التى يدور حولها البيت: ذكر الإنسان حياة ثانية.

نثر البيت: يقول: إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له، وما يحتاج إليه فى دنياه قدر القوت، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا غَناء فيه، كما قال سالم بن وابصة:

غِنَى النفس ما يكفيك من سَد حَاجَةٍ فإن زادَ شيئًا عادَ ذاكَ الغِنَى فَقْرًا

قال ابن جني: مثله ما يحكي عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رؤي يستقى ماء، فقيل له: بعد الخلافة! فقال: إنما فقدنا الفضول.

[٥٧]

ذَرِيني أَنَلْ مالا يُنَالُ من العُلَا فصعبُ العُلا فى الصَّعْبِ والسَّهْلُ في السَّهْلِ

المناسبة: هذا هو البيت الثامن من قصيدة قالها يمدح أبا الفوارس دِلِّيَر ابنَ لَشْكَرْوَزّ سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وقد كان جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذى نجم بها من بني كلاب، وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دِلِّير إليها.

اللغة: ذرينى: دعيني واتركيني لشأني. العُلا: الرفعة والشرف، وجمع العُليا.

الفكرة التى يتناولها البيت: إدراك المعالي لابد له من تضحية.

نثر البيت: يقول للعاذلة: دعيني أنل من العلا مالم ينل قبلي، فإن العلا الصعبة الشاقة - وهى التى لم يبلغها أحد - فى الأمر الصعب الذى لم يركبه أحد، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه. يعنى لا يُدْرَك من المعالي ما تجلّ قيمته إلا بتكلف ما تعظم مَشَقَّتُه، وما كان منها يقرب تناوله فبحسب ذلك يكون تساهله.

[٥٨]

تُريدين لُقْيان المعَالِى رخيصةً ولابُدّ دُونَ الشَّهْدِ مِن إبر النّحْلِ

المناسبة: وهذا البيت يتلو السابق فى قصيدته.

اللغة: الشّهد: (بفتح الشين وضمها): العسل. وإبرة النحل: شوكتها.

الفكرة التى يدو حولها البيت: لابد دون الشهد من إبر النحل.

نثر المثل: يقول للعاذلة: تريدين أن أدرك المعالي رخيصة - أى دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال - والمعالي لا تدرك كذلك؛ فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل، ولا يبلغ حلاوة العَسَل إلا بمقاساة مرارة اللسع، وهذا كما قال العتابي:

وإن جَسيماتِ الأمــور مَشوبَةٌ بمسْتَودَعاتٍ فى بُطونِ الأساودِ

هذا، وقد قال الواحدي: قُرِئ على المتنبي «لقُيان» بضم اللام، وكذلك أملاه، وهو خطأ، والصواب الكسر. ذكر سيبويه. وقال: هو مثل: عِرفان، وغِشيان، وحِرمان، ووِجدان، وإتيان ونحو ذلك.

[٥٩]

وليسَ الّـذِى يَتَّبَعُ الوَبْلَ رائـدًا كمن جَـاءَهُ فى دارِه رائدُ الوَبْلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الثاني والعشرون من القصيدة السابقة.

اللغة: يَتَبعُ: أصلها يَتَتَبَعُ فأسكن التاء الأولى وأدغمها فى الثانية. والوبل: المطر الغزير. والرائد: الذى يرسله القوم يطلب لهم الكلأ ومساقط الغيث. وقوله: «**رائد الوَبْلِ**» من باب المشاكلة.

الفكرة التى يدور البيت حولها: ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفوًا بلا قصد ولا تعب.

نثر البيت: ليس الذى يسعى فى طلب الكلأ، ويتتبع مواقعه، كالذى يقصده الوَبْل ويمطره. يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مُطِرَ ببلده، لا يتعَنّى بنشدان الموضع الممطور. يعني ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفوًا بلا قصد ولا تعب!

[٦٠]

وَمَا أَنَا مِمّن يدّعِى الشّوْقَ قَلْبُه ... وَيَحْتَجُّ فى تركِ الزيارةِ بالشُّغْلِ

المناسبة: وهذا هو البيت الثالث والعشرون من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يتناولها البيت: من عالج الشوق زار، ولم يستبعد الدار.

نثر البيت: يقول: لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزورو يُحتَجُّ بعوائق الشغل، يعني أن من يدعي الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذبًا فى دعواه؛ لأن من عالج الشوق زار، ولم يستبعد الدار، يريد: أن الممدوح لو تأخر عن المجئ إلى الكوفة لقصده أبو الطيب، ولم يحتج بالشغل.

ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل:

بَعيدٌ عن الكَسْلَانِ أو ذى مَلَالَةٍ ... وأمّـا على المشتاقِ فهو قريبُ

وبهذا المثل تنتهي أمثال قافية اللام.

قافية الميم

[١]

يَجْنِي الغِنَى لِلِّئام لو عَقلُوا ما ليسَ يجنى عَلَيْهِمُ العَدَمُ

المناسبة: هذا هو البيت العاشر من قصيدة قالها يمدح على بن إبراهيم التنوخي.

اللغة: اللئام: جمع لئيم وهو الدنيء الأصل الشحيح النفس نقيض الكريم. العَدَم (بفتح العين والدال، وبضم العين وسكون الدال وبضمها): الفقر وقلة المال. ويجنى: يجر.

الفكرة التى يدور حولها المثل: غنى اللئيم يجنى عليه مالا يجنيه الفقر.

نثر المثل: يقول: إن غنى اللئيم - لو علم - يجني عليه مالا يجنيه الفقر، لأن الفقر يقطع عنه الطمع، ولا يظهر لؤمه، لأنه لا يُقْصَد فى حاجة، أما الغنى فهو يُظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ولؤمه يمنع من تحقيقها فيتوجه عليه الذم.

[٢]

ودَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وإنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخامُ

وما أنا مِنْهُمُ بالعَيْش فِيهِم ولكن مَعْدِنُ الذَّهَب الرِّغامُ

المناسبة: هذان البيتان هما الثاني والثالث من قصيدة قالها يمدح المغيث بن عبد الله العجلي، ومطلعها:

فُؤادٌ ما تُسَلّيه المُدَامُ وعُمْرٌ مثلما تَهَبُ اللئامُ

اللغة: جثث: جمع جثة وهى جسم الإنسان، الرَّغام: التراب. المعْدِن: مكان الإقامة، ومنشأ الجواهر. وعَدَن بالمكان: أقام فيه.

الفكرة التى تناولها البيتان: أهل الدهر والعيش فيهم.

نثر البيتين: يقول عن أهل دهره: إنهم صغار الأقدار والهمم، وإن كانوا ضخام الأبدان كما قال حسان بن ثابت: